إصدارات مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
كلية العلوم الإسلامية - جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي - الجزائر

فرقة البحث (P.R.F.U): تاريخ وادي سوف الثقافي بين 1900-1988م

بحوث الملتقى الدولي السابع
المقاومة الثقافية لأعلام الفكر الإصلاحي
في الجنوب الشرقي الجزائري ما بين 1900 – 1962م

بتاريخ: 05 و06 ذو القعدة 1443هـ / الموافق لـ 04 و05 جوان 2022

الشيخ عبد القادر الياجوري
ودوره الإصلاحي في منطقة وادي سوف

Sheikh Abd-el-Kader AlYajouri
and his reformist role in Wad Souf region

عبد القادر تركي
مخبر التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للجزائر
جامعة الوادي (الجزائر)
terki-abdelkader@univ-eloued.dz

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص: عرفت الجزائر مع بداية القرن العشرين نهضة ثقافية وفكرية نشطة، وما عززها هو تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1931 التي ساهمت في بث روح الوعي والدعوة إلى التجديد وفي انتشار روح الإصلاح وإحداث صحوة دينية ونهضة ثقافية، أدت بالفرد الجزائري بالنفور من كل ماله علاقة بالتقاليد البالية التي ورثها عن الاستعمار ومعاونيه، وتعتبر وادي سوف من بين المناطق التي عرفت حركة إصلاحية نشيطة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، وذلك بفضل جهود علمائها المصلحين كالشيخ عبد القادر الياجوري؛ الذي كانت له جهود معتبرة في إدخال منطقة وادي سوف في طريق الإصلاح.

هذه الدراسة سوف تستعرض جهود الشيخ عبد القادر الياجوري الإصلاحية في واد سوف وكيف أثرت فيه رحلته للعلم في جامع الزيتونة في تعزيز روح الإصلاح لديه وبثها في منطقة واد سوف، وكيف أن الشيخ الياجوري كان من بين أبرز أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على حياة أحد أهم العلماء الإصلاحيين في منطقة الجنوب الشرقي الجزائري، وهو الشيخ العالم عبد القادر الياجوري، وكذلك إبراز دوره الإصلاحي والتربوي بمنطقة قمار والجزائر عموماً.

الكلمات المفتاحية: الياجوري؛ وادي سوف؛ الإصلاح؛ التعليم؛ الاستعمار.

Abstract :
With the beginning of the twentieth century, Algeria experienced an active cultural and intellectual renaissance and strengthened by the establishment of the Association of Algerian Muslim Scholars 1931, which contributed to raising awareness and advocating for renewal and the spread of the spirit of reform, religious awakening and cultural renaissance, The Algerian individual's distaste for all his money related to the outdated traditions he inherited from colonialism and his collaborators Wadi Souf is one of the areas in which a reformist movement was active after the end of the Second World War, thanks to the efforts of its reformed scientists, such as Sheikh Abd-el-Kader Alyajouri; which had considerable efforts in bringing the Wadi region into the path of reform.

This study will review the reform efforts of Sheikh Abd-el-Kader AlYajouri in Wade and how his journey to science at the Zaytouna Mosque has enhanced his spirit of reform and broadcast it in Wade AlYajouri, and how Sheikh AlYajouri was among the most prominent members of the Algerian Muslim Scholars Association. This research aims to highlight the life of one of the most important reformist scholars in the South-East region of Algeria, Sheikh Abd-el-Kader Alyajouri, as well as his reformist and pedagogical role in the Guemar region and Algeria in general.
Keywords: Alyajouri; Wadi Souf; Reform; Education; Colonialism.

1. مقدمة:

مثلت بداية القرن العشرين بالنسبة للجزائر مرحلة جديدة في الكفاح، حيث بدأت تتبلور ملامح الكفاح السياسي، ولا نبالغ هنا القول إذا أرجعنا جذور الكفاح السياسي سواء في الجزائر أو في المغرب العربي؛ إلى تلك الصحوة الإصلاحية التي قادها علماء تأثروا خاصة بتلك التغيرات الحاصلة في المشرق العربي، لقد تعززت الصحوة الإصلاحية في الجزائر بتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين1931، والتي ضمت علماء من مختلف نواحي الجزائر، منطقة وادي سوف انضمت لنشاطات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ممثلة بعدة علماء ومشايخ، وكان من بينهم الشيخ عبد القادر الياجوري سليل منطقة قمار، في هذه المداخلة والتي تحمل عنوان: "**جهود الشيخ عبد القادر الياجوري الإصلاحية في منطقة وادي سوف**"، ومن هنا من هو الشيخ عبد القادر الياجوري؟ وأين تلقى تعليمه؟ وكيف ساهمت جهوده الإصلاحية في توعية سكان المنطقة؟

إننا نهدف من خلال هذه الدراسة إلى شرح أوضاع منطقة وادي سوف خاصة الثقافية والدينية، ومدى مساهمة دعوة عبد القادر الياجوري الإصلاحية في إحياء الروح الوطني، كما سنقوم بتتبع مسيرة الشيخ النضالية سواء أثناء فترة الحركة الوطنية، أو خلال الثورة التحريرية.

2. مولده وتعليمه:

ولد عبد القادر بن الحاج عمار يجور في قمار بولاية الوادي، حوالي سنة 1912م، كان أبواه من الفلاحين، وقد حفظ القرآن الكريم على والده، ثم اغترب من أجل العلم و عمره لا يتجاوز الثالثة عشر، ومن هنا بدأت عصاميته واعتماده على نفسه في مواجهة الحياة دامت غربته تسعة سنوات من (1925 إلى 1934) قضى بعضها في توزر بجريد تونس، حيث درس على عدد من علماء الجزائر وتونس أيضا أمثال الشيخ العربي التبسي والشيخ محمد الخضر حسين والشيخ المكي بن عزوز، وقضى بعضها الأخر في جامع الزيتونة، ومهما كان الأمر فقد انتهت غربته بحصوله على شهادة التطويع سنة 1934، ثم رجع على قمار مسقط رأسه، وكان عمره عندئذ اثنين وعشرين سنة، ورغم شح موارد الرزق والبطالة لأمثاله من

خرجي الزيتونة، فإنه حصن نفسه بالزواج منذ فاتح 1935[1].

إن الفترة الزمنية التي واكبت عودة الشيخ الياجوري من جامع الزيتونة شهدت حركة إصلاحية للعلماء في الجزائر، فعقد العشرينات كان مرحلة تخمر فكرة الإصلاح وذلك منذ أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها وقد شهدت هذه الفترة أيضا بدورها حواضر سوف الأساسية الوادي وقمار والزقم حركة علمية بعد عودة العديد من طلبة العلم من جامع الزيتونة، وكانت متشبعة بالفكر الإصلاحي والروح العلمية[2]. وقد أشرنا إلى مرحلة التعلم والغربة والتي امتدت من سنة 1925 حتى سنة 1934، وكان خلالها يتعلم من المدرسة ومن البيئة والحياة عموما، وإذا كان الطلبة عادة يرجعون من رحلتهم في طلب العلم بزاد من العلوم اللغوية والأدبية والفقهية والدينية، فالشيخ الياجوري لم يكتف بهذا الزاد إنما أضاف أليه رصيدا من السياسة والوعي وفصاحة اللسان[3].

لابد أن دراسة الشيخ في الزيتونة كان لها الأثر الكبير في مسيرة الشيخ الإصلاحية، فقد تزامنت دراسته هناك بنهضة علمية كبيرة في تونس، التي شهدت تأسيس الجمعيات والمدارس التي أخذت على عاتقها إحياء التراث العربي والإسلامي إضافة إلى الجهود التي قام بها شيوخ الزيتونة، كما تزامنت وبداية تبلور الوعي السياسي وذلك من خلال الجهود التي قام بها الشباب التونسي في نشر الصحف والمجلات التي بثت الوعي السياسي والديني وأعادت ربط التونسيين بروح الإسلام وبداية المطالبة بالتجديد، كما أن الشيخ عندما كان يدرس بالزيتونة احتك بهذه الأفكار التجديدية وحين عودته للديار أراد نقل هذه التجارب لأهل بلدته خاصة لما رأى فيها تفشي البدع والخرافات وتفشي الجهل وأمية نتيجة السياسات الاستعمارية. فجامع الزيتونة كان له الفضل الأول في محاربة الاستعمار الفرنسي في البلاد التونسية، وإلية ترجع جذور كل عمل نضالي بصفته الأمين عن التراث القومي والحضارة العربية الإسلامية، إضافة إلى أن جامع الزيتونة قد لعب دورا هاما وكبيرا في تثبيت معالم القومية العربية والثقافة العربية الإسلامية بطرق ووسائل مختلفة ففيه تتمثل أسمى معاني المجد القومي، كما تتمثل فيه أعرق القيم الروحية وأسماها[4].

تتلمذ الشيخ الياجوري في قمار على يد الشيخ الجليل عمار بن الأزعر الذي يعتبر وبحق رائد الإصلاح في منطقة قمار بصفة خاصة ووادي سوف بصفة عامة، فلقد تأثر العديد من

1- أبو القاسم سعد الله، «مجاهد من نوع آخر»، **مجلة الثقافة الجزائرية**، د.ع، 1993، ص 57.

2- الجباري عثماني، «المصلح الشيخ عمار بن الأزعر وجهوده في التحرير والتنوير بالديار السوفية»، **مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية**، جامعة الوادي، العدد 13، جوان 2017، ص ص: 101-102.

3- أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ص 59.

4- الطاهر عبد الله، **الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة 1830-1956**، منشورات دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، ص219.

طلابه به حتى أن البعض سلك طريقه في الوعظ والإرشاد، وفي طلب العلم أيضا فقد حذا حذوه مجموعة من تلاميذه أين توجهوا لجامع الزيتونة لطلب العلم، وعادوا إلى قمار مشبعين بروح الإصلاح الديني والسياسي، فقد تزامنت هجرتهم لجامع الزيتونة بالأوضاع السياسية السائدة هناك وتأثروا بالعمل الإصلاحي الذي قام به شيوخ وطلبة جامع الزيتونة وبما تقدمه الجمعية الخلدونية[5] وغيرها من الجمعيات والنوادي، وزعماء الحركة الوطنية التونسية أمثال عبد العزيز الثعالبي والحبيب ثامر وغيره، فتأثروا بمطالب الحركة الوطنية المطالبة بالتجديد والتغيير، نختص بالذكر تلميذه عبد القادر الياجوري الذي أصبح من زعماء الحركة الإصلاحية في المنطقة[6].

3. الانتماءات السياسية للشيخ الياجوري:

تعتبر شخصية الشيخ الياجوري من الشخصيات المتفردة والمتميزة في كثير الأشياء، فلم يكن الشيخ من أولئك الأشخاص النمطيين، ففي كثير من الأحيان جمعت شخصيته بين متناقضات بعض الفترات[7]، فمثلاً نذكر أنه خلال فترة الحركة الوطنية الجزائرية كان الكثير من الجزائريين منقسمين منهم من هو إصلاحي في صف جمعية العلماء ومنهم من هو وطني استقلالي في صف حزب الشعب الجزائري، ونادراً ما نجد شخصاً يجمع بين هاذين الاتجاهين، لكن الشيخ الياجوري كان كذلك فقد كان عضواً في جمعية العلماء وفي نفس الوقت كان ناشطاً من نشطاء حزب الشعب المحرضين على الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي ونيل الاستقلال[8].

وفي قصة أخرى تثبت تميز الشيخ الياجوري نجد ظهور صراع فكري في المنطقة العربية، هذا الصراع كان بين طرفين الأول يتمثل في التيار القومي أو القومية العربية، والثاني يتمثل في التيار الإسلامي متمثلاً في الحركات الإسلامية التي ظهرت والتي تدعو إلى التجديد والإصلاح، وهذين الاتجاهين كان بينهما صراع كبير خاصة في المجالين السياسي والفكري، فكان أغلب الناس بين هذين الاتجاهين فنجد الشخص إما أن يكون إسلامي بحت أو أن

5- تأسست سنة 1896م على يد مجموعة من الشباب التونسي في مقدمتهم البشير صفر، الهدف من تكوينها هو إدخال الإصلاح على جامع الزيتونة ومساعدة طلبة جامع الزيتونة على تحسين مستواهم التعليمي، وقد لعبت هذه المؤسسة دورا كبيرا في نشر العلم والثقافة الحديثة وإذكاء الروح الوطنية في الشباب التونسي وذلك عن طريق إلقاء الدروس والمحاضرات وتلقين اللغات العصرية حتى أصبحت محط أنظار رجال عموم إفريقيا الإسلامية وطلبة شمال إفريقيا .**ينظر:** الطاهر عبد الله، المصدر السابق، ص35.

6- محمد الطاهر بن بلقاسم التليلي، **منظومات في مسائل قرآنية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص8.

7- مقابلة شفوية مع السيد مصطفى ياجور (ابن أخ العلامة عبد القادر الياجوري)، قمار، سنة 2019.

8- نفسه.

يكون عروبي بحت، وقليلاً ما نجد شخصاً يجتمع فيه مناصرة ودعم هاذين الاتجاهين بنفس النسبة، لكن الشيخ الياجوري كان كذلك فقد كان عالماً عروبياً إسلامياً، والدليل على ذلك أنه كان إسلامياً مصلحاً من زعماء جمعية العلاء المسلمين، وفي نفس الوقت كان من أنصار الوحدة العربية فقد شجع على الوحدة التي قامت بين مصر وسوريا سنة 1958م وألقى خطبة على المساجين في معتقله بآفلو أثنى فيها على هذه المبادرة[9].

4. الشيخ الياجوري عالماً:

كان الشيخ يعقد حلقات دروس حرة في مساجد قمار أو لقاءات مع بعض التلاميذ وأنصار الإصلاح، وقد تحصل سنة 1936 على رخصة التعليم في المدرسة القرآنية الموجودة في جامع "الطلبة بقمار"، وهذا الجامع كان قد جدّد حوالي سنة 1930، وكان المترددون عليه غالبا من أنصار الإصلاح، وأولئك الذين تكونوا أو تأثروا بدروس الشيخ عمار بن الأزعر[10]. وقد عدد الشيخ الياجوري الأماكن التي مارس فيه التعليم بين 1936- 1954 فيما يلي: قمار، البياضة[11]، بسكرة، عزابة، وهران، معسكر، سيدي بالعباس وغليزان، ولكنه لم يذكر قسنطينة إلا منذ تعيينه في معهد ابن باديس الذي انشأ سنة 1947[12].

بالإضافة إلى ذلك فقد كان الشيخ الياجوري مفتياً، فأثناء الحرب العالمية الثانية اشتد بالجزائريين الجوع والفقر...فأتاه رجل في قمار وسأله عن زراعة الدخان حلال أم حرام فقال له حلال...ثم جاءه في الثمانينات فقال له حرام...وهذا يدل على أن الشيخ الياجوري من العلماء المجددين وليس من العلماء الجامدين الذين يتقيدون بالنص فقط[13].

5. الشيخ الياجوري والطرق الصوفية:

ربما نجد الكثير من الناس يعتقدون أن الشيخ كان ضد الطرق الصوفية ومعادياً لها بحكم أنه كان من أعضاء جمعية العلماء المسلمين وتبنيه للنهج الإصلاحي التجديدي، لكن ذلك غير صحيح فالشيخ الياجوري لم يكن لديه حكم أو موقف واحد تجاه الطرق الصوفية، والدليل على ذلك أنه درس في الزاوية القادرية في توزر[14]. إضافة إلى ذلك فإن رفيق درب الشيخ الياجوري هو لشيخ عبد العزيز الشريف بن الشيخ الهاشمي الشريف شيخ الطريقة القادرية في وادي سوف، هذا الشيخ (عبد العزيز الشريف) وأتباع الطريقة القادرية كان لهم دور كبير في تنظيم زيارة للشيخ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية

9- نفسه.

10- أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ص 60.

11- كلتاهما بالوادي وكانت البياضة تعرف بمنطقة عميش في تلك الفترة.

12- أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ص 71.

13- مقابلة شفوية مع السيد مصطفى ياجور، المصدر السابق.

14- نفسه.

العلماء المسلمين إلى وادي سوف سنة 1937، وقد كان هذا حدثاً بارزاً وهاماً في تاريخ المنطقة[15].

كان الوفد بقيادة الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ العربي التبسي، وخير الدين، وقد استقبله وحضر للزيارة أعضاء جمعية العلماء من أبناء الوادي مع أنصار من علماء الناحية، وكان عدد من هؤلاء العلماء ممن شاركوا في تأسيس جمعية العلماء نفسها مثل الشيخ عمار بن الأزعر المذكور والشيخ محمد الأمين العمودي، الذي تولى أمانة الرأي فيها، وكان العمودي من أبرز المترجمين والعدول، وقد أعلن الشيخ عبد العزيز الشريف خلال هذه الزيارة انضمامه إلى جمعية العلماء المسلمين[16].

6. الشيخ الياجوري وجمعية العلماء المسلمين:

من الذين اعتمد عليهم الشيخ ابن الهاشمي في التعليم بالزاوية على طريقة جمعية العلماء وحسب برامجها، الشيخ عبد القادر الياجوري، وكان الشيخ الهاشمي من خريجي جامع الزيتونة أيضا، ولعله كان رفيقا للشيخ الياجوري في الدراسة، ولم يكتف الشيخ الهاشمي بجلب الياجوري فقط للتدريس بل جلب معه أيضاً عالما آخر؛ وهو الشيخ علي بن سعد[17]، الذي تخرج مثلهما من جامع الزيتونة ، وهكذا تكونت من خلال هذا الثالوث المتحد في المشرب والميول خلية قوية لجمعية العلماء بوادي سوف، وقد ازدادت هذه الخلية نشاطا وحيوية بزيارة الشيخ ابن باديس وصحبه وزيارة ابن باديس ليست زيارة عادية، بل كانت حدثا له ما بعده، فهو قد جاء لدعم مشروع وبث فكرة وإرساء قاعد ثابتة لحركة الإصلاح، ومن ثمة اشتمل البرنامج على تفقد شعب (فروع) الجمعية، وإلقاء الدروس في المساجد لتوعية العامة، وعقد اجتماعات مع علماء الناحية وأنصار الإصلاح، وكان الشيخ الياجوري من العناصر الفاعلة في هذه الأثناء؛ فهو الخطيب وهو المعلم، وهو الداعي للقاء

15- في هذه السنة تكونت أيضا مدرسة تابعة لجمعية العلماء باسم مدرسة النجاح بقمار - تولاها الشيخ الياجوري في البداية ثم الشيخ محمد الطاهر التليلي فترة طويلة، و قد جاء في (البصائر) عدد 109 (تاريخ 22 أبريل 1938) أن الشيخ التليلي قد ترأس شعبة قمار لجمعية العلماء وأن نائبه فيها هو الشيخ الحفناوي هالي، نظرا لانتقال الشيخ الياجوري إلى عميش حيث زاوية (معهد) الشيخ الهاشمي.

16- مقابلة شفوية مع السيد مصطفى ياجور، المصدر السابق.

17- علي بن سعد أحد أبر تلاميذ الشيخ لزعر الذين ساهموا بشكل بارز في تنشيط الحركة الإصلاحية، فبعد أن هاجر للزيتونة لطلب العلم اقتداء بشيخه عمار بن الأزعر رجع لقمار سنة 1932 وعمل كمدرس هناك ضمن مدارس جمعية العلماء المسلمين، وكان له نشاط صحفي فأصدر جريدة "الليالي" سنة 1936، ذات الطابع الإصلاحي، واهتمت الجريدة بنقد الأوضاع الداخلية وما فيها من فساد إداري واجتماعي وانحراف ديني. **ينظر:** جمال زواري أحمد، «مساهمة أعلام سوف في تأسيس الصحافة الإصلاحية في الجزائر (1925-1940)»، **مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية**، جامعة الوادي، عدد: 09، ، جانفي 2017، ص 185.

ابن باديس والحديث إليه[18].

وبالرجوع للوراء قليلا نجد أن علاقة الحركة الإصلاحية بمنطقة وادي سوف تعززت بانضمام شيخ الطريقة القادرية عبد العزيز بن الهاشمي الشريف إلى جمعية العلماء المسلمين سنة 1937 وذلك بعد تواصله مع رئيسها الشيخ عبد الحميد بن باديس، لينتخب بالإجماع لعضوية مجلسها الإداري، ونظرا لنفوذه الديني والاجتماعي رتب الشيخ عبد العزيز زيارة لوفد من ضم أبرز علماء وقادة الجمعية لوادي سوف، في أواخر ديسمبر من نفس السنة التي انظم فيها لصفوف الجمعية، وتشكل الوفد من الشيخ عبد الحميد بن باديس والعربي التبسي ومبارك الميلي ومحمد خير الدين وحمزة بكوشة، وقد كان لهذه الزيارة الأثر العميق والصدى الواسع بين السكان[19].

ومما لاشك فيه أن الشيخ عبد القادر الياجوري كان عضو عاملا في جمعية العلماء منذ ميلادها سنة 1931 أي قبل أن يرجع هو من تونس ولا شك أنه كان من أولئك الطلاب الذين اعتبروا أنفسهم مجندين منذ حياتهم الطلابية للفكر الإصلاحي الذي قامت عليه الجمعية[20]، وقد انتخب الشيخ عبد القادر الياجوري بدوره كعضو في المكتب الإداري لجمعية العلماء المسلمين سنة 1944 وعين كأستاذ بمعهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة سنة 1948، ونائب لرئيس لجنة التعليم العليا للجمعية ومندوبها المتجول في الناحية الغربية للوطن[21].

يقول الشيخ الياجوري عن نفسه أنه اعتنق: «مبادئ دعوتها (جمعية العلماء) الثقافية-الدينية، والاجتماعية، والقومية، والوطنية، والكفاحية»، وتأكيده على هذه التعابير يعتبر بمثابة الرد على من يزعم أن جمعية العلماء هيئة دينية ثقافية أو على من يذهب إلى أنها لم تلعب دورا قوميا وطنيا نضاليا، وقد أكد ليس علي انتمائه فقط، ولكن أضاف إلى ذلك قوله: «وحتى النفس الأخير» فهو عضو في الجمعية منذ نشأتها هي إلى وفاته هو[22].

ونشاط الشيخ عبد القادر الياجوري اتسم بطابع خاص جمع فيه بين انتمائه لحركة إصلاحية وذلك بنشاطه ضمن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وبين نشاطه كسياسي داخل صفوف حزب الشعب الجزائري؛ وبذلك جسد جسرا يربط بين كفاح جمعية العلماء وكفاح حزب الشعب، فقد أخذ من الجمعية حرارة الإيمان بالقضية الوطنية وبالعروبة والإسلام، وأخذ من الحزب الشجاعة في المواجهة وارتياد السجون و العقيدة الراسخة في

18- أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ص 62.
19- جمال زواري أحمد، المرجع السابق، ص165.
20- أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ص 58.
21- جمال زواري أحمد، المرجع السابق، ص167.
22- أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ص 58.

حرية الوطن واستقلاله[23]. ومن إسهامات الشيخ الياجوري في إنجاح أهداف جمعية العلماء المسلمين نجد أن الشيخ قام بجمع الأموال في بلدته قمار رفقة الشيخ علي المغربي بهدف تأسيس معهد ابن باديس في قسنطينة، وكان ذلك في 15 جانفي 1952، فجمعا سبعة وستين ألفاً من الفرنكات القديمة[24].

إن المرحلة مابين 1946- 1956 هي مرحلة الإنتاج التعليمي والمسؤوليات على مستوى جمعية العلماء، فقد سبق القول أنه انتخب غضواً في المجلس الإداري للجمعية سنة 1944 على إثر خروج الشيخ الإبراهيمي من معتقله في آفلو ومباشرته رئاسة الجمعية، وكان الشيخ الياجوري عندئذ ما يزال "هاربا" من عدالة فرنسا، وفي سنة 1946 صدر العفو العام على إثر أحداث الثامن ماي 1945، فعاد النشاط يدب ببطء في حي أوصال الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية، وقد ظهرت الأحزاب الجديدة وجدَّدت جمعية العلماء مجلسها الإداري فكان الشيخ الياجوري من الذين جددت عضويتهم، وظل كذلك إلى 1956 حين انضمت الجمعية إلى جبهة التحرير الوطني علينا، وكانت الجمعية قد اتخذت مواقف وقررت قرارات تهم الجزائر وغيرها، وكان مجلسها الإداري هو الهيئة العليا التي تدرس وتحكم وتصدر القرارات والمواقف، فالشيخ الياجوري إذا كان مسؤولاً وحاضراً في كل ما صدر عن الجمعية في هذه المرحلة[25].

7. الإدارة الاستعمارية ونشاط الشيخ الياجوري:

إن تحركات الشيخ الياجوري ضمن جمعية العلماء المسلمين شدت انتباه الإدارة الاستعمارية وأقلقتها، خاصة بعد أن حول الشيخ عبد العزيز بن الهاشمي الشريف مقرات الزاوية القادرية بالمنطقة إلى مدارس شبه عصرية على نهج جمعية العلماء المسلمين وحسب برامجها، واستدعى لها بعض خريجي الزيتونة وفي مقدمتهم الشيخ عبد القادر الياجوري، وتعقد الأمر أكثر بزيارة الشيخ ابن باديس لوادي سوف، هذا الأمر لم تستسغه السلطات الاستعمارية واتهمت زعماء الإصلاح بالتحضير للثورة والتمرد عليها في أفريل 1938، فكانت حجة للقضاء على الحركة الإصلاحية والخلية النشطة لجمعية العلماء بواد سوف وسجن زعمائها ونفيهم، واستمرت الأحداث مدة ثلاث أسابيع وكان من بين المعتقلين الشيخ عبد القادر الياجوري[26].

ويتحدث الشيخ ابن باديس عن أحداث الثامن أفريل فيقول:« يوم 18 أبريل 1938

23- نفسه، ص 69.

24- الشيخ محمد الطاهر التليلي، **هذه حياتي**، إعداد وتنسيق: بشير خلف، مكتبة سامي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2017، ص82.

25- أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ص ص:69- 70.

26- جمال زواري أحمد، المرجع السابق، ص165.

عجت وادي سوف بالجنود والعتاد، ورصعت رباه بالمدافع الرشاشة، وأرعدت أجزاؤه بأزيز الطائرات، فأوشك أهله ونساؤه، وأطفاله وبيوته ونخيله أن تنسفهم قنابل الأرض أو تمحقهم صواعق السماء، فذهلت المراضع ووضعت نحو ثلاثين امرأة حملها... أصبح الوادي على حين بغتة وقد عطلت أسواقه سدت طرقاته ومنع عنه الداخل والخارج، وضرب عنه نطاق شديد محكم من الحصار»، وقد دام ذلك ثلاثة أسابيع على الأقل، وهكذا ألقت السلطات القبض على الشيخ عبد العزيز بن الهاشمي وعبد القادر الياجوري وعلي بن سعد وعبد الكامل، باعتبارهم نواة التعليم بالزاوية ومن أنصار جمعية العلماء، ومن التهم التي وجهة إلى الشيخ الهاشمي أنه نظم ثورة ضد أمن الدولة وأن له صلة بجهة أجنبية، وسيق الجميع إلى سجن الكدية بقسنطينة، ولكن قبل ذلك بقوا في الوادي فترة للتحقيق، والتهمة التي وجهت إلى الشيخ الياجوري هي العداء لفرنسا، وقد ظل في سجن الوادي فترة في زنزانة لا يتصل به أحد، ثم حمل في سيارة إلى سجن الكدية وبقي هناك دون محاكمة واحد وعشرين شهراً، ثم حوكم عسكريا وفرضت عليه غرامة هو وزملاؤه، ثم ألزم الإقامة الجبرية الحضورية، أي عليه أن يثبت حضوره اليومي لمركز الأمن التابع له، ودام ذلك من سنة 1938 إلى صدور العفو العام سنة 1946[27].

وبعد محاكمته عسكرياً في قسنطينة نفي إلى مليانة في 16 جانفي 1940، وأجبر على الإقامة بها سنتين، ولازمت الشرطة تحريتها معه، وفي العشرين من جانفي 1942 أثناء حكم فيشي، أخذه الدرك وسلمه للشرطة العسكرية التي حملته إلى سعيدة حيث أودع السجن العسكري بثكنة اللفيف الأجنبي، ومن سعيدة إلى بشار حيث زج به في السجن العسكري أيضاً، ثم نفى من بشار إلى بني عباس التي قضى فيها ثلاثة و ثلاثين شهراً تحت الإقامة الجبرية، وكانت بني عباس تابعة للسلطة العسكرية الاستبدادية[28].

غير أن وضعه قد تغير قليلا بحلول أكتوبر سنة 1944، عندما حكموا عليه بالخروج من بني عباس ومغادرة المناطق التابعة للحكم العسكري، ولكنهم منعوه من الرجوع إلى مسقط رأسه، ودامت حالته هذه إلى عيشة أحداث الثامن ماي 1945، فقد كان قد نزل بسكرة ليكون قريبا من أهله ولكنهم قبضوا عليه هناك أيضا وأودع السجن، وقد اغتنم حوادث الثامن ماي واختفى عن الأنظار إلى أن صدر العفو العام سنة 1946، فاستفاد الشيخ الياجوري من ذلك ورجع إلى التعليم في مدارس جمعية العلماء، وكانت الجمعية أخذت تنظم نفسها في ضوء الرئاسة الجديدة لها في شخص الشيخ الإبراهيمي وضوء القوانين الجديدة التي جاء بها دستور الجمهورية الرابعة وقانون الجزائر الصادر سنة 1947[29].

27- أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ص ص:62- 63.

28- نفسه، ص 65.

29- نفسه.

8. الشيخ الياجوري والثورة التحريرية:

كان الشيخ الياجوري مخلصا لمبادئ الجمعية وكان في نفس الوقت صلة وصل متينة بينها وبين حزب الشعب بالذات، فرغم انتماء الشيخ الياجوري إلى لجمعية العلماء، فإنه كان يعتقد في مبادئ حزب الشعب القائمة على تحرير الجزائر بقوة السلاح، وقد ذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله أن الياجوري قد روى له شخصياً سنة 1989 بقمار أن الشيخ ابن باديس نصحهم بإتباع حزب مصالي إذا انهزمت فرنسا ووقع له هو مكروه، وعندما اندلعت الثورة التحريرية أصبح المندوبون ومتجولي "البصائر" والمفتشون وسيلة ناجعة لأداء مهمة الثورة في الاتصال بين أجزاء الوطن، وفي جانفي 1956 أعلن المجلس الإداري للجمعية قراره التاريخي بالتأييد الصريح للكفاح المسلح والانضمام العلني والرسمي إلى جبهة التحرير الوطني، ويبدو من الأكيد أن الشيخ الياجوري كان حاضراً في صنع ذلك القرار[30].

ومهما كان الأمر فإن مرحلة أخرى من حياة الشيخ الياجوري تبدأ في سنة 1956 وتستمر إلى الاستقلال، والواقع أن قرار الجمعية بالانضمام إلى الكفاح المسلح واحتضان الثورة قد أدى إلى اعتقال الشيخ من جديد، يوم 29 مارس 1956 وإذا كان الكثير ممن اعتقلتهم السلطات الفرنسية عندئذ لم يعرفوا السجون والمعتقلات من قبل، فالشيخ الياجوري قد عاش النفي والسجن والمحاكمة وما إلى ذلك سنوات طويلة من قبل، وقد استمر اعتقاله هذه المرة ست سنوات متواصلة، أي إلى 19 مارس 1962 تاريخ إعلان وقف القتال وقد جرى القبض عليه في مدينة معسكر، ثم انتقل في السجون والمعتقلات الآتية: آفلو، أركول، بوسوى وسيدي الشحمى... الخ، ويذكر في سيرته الذاتية أنه ترأس بأمر من جيش التحرير الوطني لجنة قضائية مؤقتة، وأن ذلك قد دام إلى إعلان الاستقلال[31].

وقد كان الشيخ الياجوري من أعضاء لجنة الأساتذة في معتقل آفلو، فيقول المناضل محمد الطاهر الأطرش:«من أهم ما قمنا به في هذه الفترة تكوين لجنة ثقافية تقوم بدراسة المواضيع الأدبية والفلسفية والاقتصادية والاجتماعية، وكانت لدينا في هذا المعتقل مصادر وكتب مكنتنا من إثراء معلوماتنا حول هذه المواد الهامة، ومن ضمن أعضاء هذه اللجنة: الأستاذ عبد القادر الياجوري من الوادي، عباس سليمان من أربعاء بني إيراثن، محمد المحاجي من محاجة، أحمد الثابي من باتنة، عبد القادر بودربالة من وهران، محمد الجزائري من معسكر، مصباح الحويذق من مستغانم، وغيرهم وكنت كاتباً لهذه اللجنة»[32]،

30- أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ص ص: 72- 73.

31- نفسه، ص 73.

32- محمد الطاهر الأطرش، «المعتقلات والسجون الاستعمارية في الفترة ما بين 1 نوفمبر 1954 و20 أوت 1956»، **الملتقى الوطني الثاني لتاريخ الثورة، المجلد الثاني**، الجزء الثاني، حزب جبهة التحرير

كما يذكر المناضل محمد الطاهر الأطرش أن الشيخ الياجوري قد قدم خطباً وكلمات للمعتقلين في آفلو، وأنه قد أجاد في كلماته وأفاد المعتقلين[33].

9. خاتمة:

من خلال البحث في سيرة الشيخ المصلح عبد القادر الياجوري تبين لنا مدى مساهمته في النهضة الإصلاحية، ليس على مستوى منطقة واد سوف فحسب بل على مستوى الجزائر ككل، ففي كل منطقة تواجد فيها شرع ينشر أفكاره الإصلاحية التي استمدها من جوهر مبادئ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والداعية إلى الرجوع إلى العمل بأقوال وأفعال السلف الصالح، والمحافظة على مقومات الهوية الوطنية الجزائرية، فكان يركز خلال إلقائه دروس الوعظ والإرشاد على مقاومة الاستعمار الفرنسي وكل ما يمثله، هذا ما سبب له متاعب كثيرة وفي مقدمتها تعرضه للسجن والإقامة الجبرية.

10. قائمة المراجع:

- الأطرش محمد الطاهر، من 8 إلى 10 ماي 1984، «المعتقلات والسجون الاستعمارية في الفترة ما بين 1 نوفمبر 1954 و20 أوت 1956»، **الملتقى الوطني الثاني لتاريخ الثورة، المجلد الثاني**، الجزء الثاني، حزب جبهة التحرير الوطني، المنظمة الوطنية للمجاهدين، ، طبع ونشر قطاع الإعلام والثقافة والتكوين، **الجزائر**.
- التليلي الشيخ محمد الطاهر، **هذه حياتي**، إعداد وتنسيق: بشير خلف، مكتبة سامي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2017.
- التليلي محمد الطاهر بن بلقاسم، **منظومات في مسائل قرآنية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- زواري أحمد جمال،«مساهمة أعلام سوف في تأسيس الصحافة الإصلاحية في الجزائر (1925-1940)»، **مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية**، جامعة الوادي، عدد: 09، ، جانفي 2017.
- سعد الله أبو القاسم، «مجاهد من نوع آخر»، **مجلة الثقافة الجزائرية**، د.ع، 1993.
- الطاهر عبد الله، **الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة 1830-1956**، منشورات دار المعارف للطباعة والنشر، تونس.

الوطني، المنظمة الوطنية للمجاهدين، من 8 إلى 10 ماي 1984، طبع ونشر قطاع الإعلام والثقافة والتكوين، ص90.

33- نفسه، ص91.

- عثماني الجباري، «المصلح الشيخ عمار بن الأزعر وجهوده في التحرير والتنوير بالديار السوفية»، **مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية**، جامعة الوادي، العدد 13، جوان 2017.
- مقابلة شفوية مع السيد مصطفى ياجور (إبن أخ العلامة عبد القادر الياجوري)، قمار، سنة 2019.